

أضواء البيان

@ 377 مؤكد أيضاً لما دلت (بلى) . واللام في قوله : { لَيُذَيَّبَنَّ لَهُمُْ السَّكَنُ } يَخْتَلِفُونَ فِيهِ { ، وفي قوله : { وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا } ، تتعلق بقوله : (بلى) أي يبعثهم ليبين لهم . . إلخ . والضمير في قوله : { لَهُمُْ } عائد إلى من يموت . لأنه شامل للمؤمنين والكافرين . .

وقال بعض العلماء : اللام في الموضعين تتعلق بقوله : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا } . أي بعثناه ليبين لهم . . إلخ والعلم عند الله تعالى . قوله تعالى : { إِنَّا نَزَّلْنَا قَوْلَنَا لَشَيْءٍ إِذْآ أَرَادُوا أَن نَّسْأُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أنه لا يتعاضى على قدرته شيء ، وإذ يقول للشئ (كن) فيكون بلا تأخير . وذلك أن الكفار لما { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعِثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ } ، ورد الله عليهم كذبهم بقوله : { بَلَى وَعَدْنَا عِلَآئِهِمْ حَقًّا } بين أنه قادر على كل شيء ، وأنه كلما قال لشئ (كن) كان . .

وأوضح هذا المعنى في مواضع أخر . كقوله في الرد على من قال { مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ } : { إِنَّا نَزَّلْنَا أَمْرُهُ إِذْآ أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } . .

وبين أنه لا يحتاج أن يكرر قوله : (كن) بل إذا قال للشئ (كن) مرة واحدة ، كان في أسرع من لمح البصر في قوله : { وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ } ، ونظيره قوله : { وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا لَمْحٍ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَآي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } ، وقال تعالى : { إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } ، وقال : { مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ } ، إلى غير ذلك من الآيات . .

وعبر تعالى عن المراد قبل وقوعه باسم الشئ . لأن تحقق وقوعه كالوقوع بالفعل . فلا تنافي الآية إطلاق الشئ على خصوص الموجود دون المعدوم . لأنه لما سبق في علم الله أنه يوجد ذلك الشئ ، وأنه يقول له كن فيكون كان تحقق وقوعه بمنزلة وقوعه . أو لأنه أطلق عليه اسم الشئ باعتبار وجوده المتوقع ، كتسمية العصور خمراً في قوله : { إِنَّا نَزَّلْنَا أَمْرًا } أَعْصِرْ خَمْرًا { نظراً إلى ما يؤول إليه في ثاني حال . وقرأ هذا الحرف ابن عامر

والكسائي (فيكون) بفتح النون منصوباً بالعطف على قوله : أن نقول